LADE
الجمعية اللبنانية من أجل
ديمقراطية الانتخابات

بالتعاون مع

SAWAB
صواب

التضليل الإعلامي والروايات الحربية والثقة بالمؤسسات

التقرير - **الثاني**

HEINRICH BÖLL STIFTUNG
بيروت
الشرق الأوسط

تم إعداد هذا البحث بدعم مالي من مؤسسة هينرش - بُل مكتب الشرق الأوسط.
الآراء الواردة هنا تعبّر عن رأي «الجمعية اللبنانية من أجل ديمقراطية الانتخابات»
وبالتالي لا تعكس بالضرورة وجهة نظر مؤسسة هينرش - بُل.

التقرير الثاني

التضليل الإعلامي والروايات الحربية والثقة بالمؤسسات

إعداد: د. روي الجريجيري

lade.org.lb

مقدّمة

مع صعود المنصات الرقمية في الربع الأول من هذا القرن، تبدّلت قواعد اللعبة الاتصالية بالكامل. فقد تراجع احتكار المؤسسات الإعلامية التقليدية للمعلومة، وتحوّل المستخدم العادي إلى ناشر وصانع محتوى في آن واحد. هذا التدفق الضخم جعل من «السيطرة على السردية» هدفًا رئيسيًا في الصراعات والحروب المعاصرة، التي لم تعد تدار في الميدان العسكري فحسب، بل عبر المنصات الرقمية وشبكات التواصل الاجتماعي.

ضمن هذا الإطار، تشكّل الحروب ذروة لبث الأخبار الكاذبة والمضلّلة. فالحروب تنتج طلبًا مرتفعًا على الأخبار الفورية، مع ضعف إمكانات التحقّق من صحة المعلومات بسبب الظروف الأمنية، كما تخلق شحنة عاطفية تزيد من قابلية الجمهور للتصديق والمشاركة، ما يفسح المجال أمام توظيف محتويات بصرية خارج سياقها الأصلي، إعادة تدوير مواد قديمة، أو استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي لإنتاج أو تعديل مضامين تبدو واقعية. بالتالي، لا يقتصر التضليل على اختلاق معلومات جديدة، بل يشمل أيضًا إعادة تأطير او تحوير محتويات صحيحة أو قديمة بطريقة تغيّر معناها وتوجّه تفسيرها.

هذا التضليل إذًا لا يشكّل هدفًا في حدّ ذاته، بل يُستخدَم لخدمة سرديات سياسية أو عسكرية أو أيديولوجية تؤثّر في تصوّرات الجمهور ومستوى الثقة بالمؤسّسات. وقد ينعكس ذلك في تعزيز الثقة بمؤسسات أو أطراف معيّنة عبر تأكيد روايتها، أو تقويض الثقة بالمؤسسات الإعلامية المنافسة، أو إضعاف الثقة بالمؤسسات الرسمية، وذلك من خلال خلق حالة من الشكّ تجعل الجمهور غير قادر على التمييز بين الأخبار أو المعلومات الصحيحة والخاطئة.

ينطلق هذا التقرير من هذه الخلفية النظرية لتحليل عينة من الأخبار المضلّلة المتداولة خلال الأعمال الحربية التي شهدها لبنان بين آذار وأيار ٢٠٢٦، بهدف الإجابة عن الإشكالية التالية: كيف يسهم التضليل الإعلامي خلال الحروب في بناء السرديات المتنافسة وإعادة تشكيل الثقة بالمؤسسات الإعلامية والرسمية؟

أولاً:
الإطـــار المنهجي

يعتمد هذا التقرير على تحليل نوعي لعينة من الأخبار والمضامين المضلّلة التي جرى رصدها ضمن تقارير الرصد الإعلامي الصادرة عن منصّة «صواب» خلال الفترة المذكورة. تضمّ العيّنة أخبارًا ومنشورات ومقاطع مصوّرة وصورًا متداولة عبر المنصّات الرقمية وشبكات التواصل الاجتماعي، تم التحقّق منها وتصنيفها بوصفها مضامين مضلَّلة أو مضلِّلة.

لا يهدف التقرير إلى قياس حجم انتشار هذه المضامين أو تحديد نسب تكرارها، بل يسعى إلى فهم أنماط التضليل الأكثر حضورًا، تحليل الكيفية التي تُوظَّف بها في بناء السرديات المرتبطة بالحرب، واستكشاف انعكاساتها المحتملة على ثقة الجمهور بالمؤسسات الإعلامية والرسمية.

لهذه الغاية، يستند التقرير إلى مقاربة تحليلية تجمع بين تحليل المضمون وتحليل الخطاب، بما يسمح بتحديد الأساليب المستخدمة في إنتاج التضليل أو إعادة تأطير المعلومات، الكشف عن الدلالات والرسائل الضمنية التي تحملها هذه المضامين، والسرديات التي تسهم في ترسيخها أو إعادة إنتاجها ضمن الفضاء الإعلامي والرقمي. انطلاقًا من هذه المقاربة، يتوزّع التحليل على ثلاثة محاور رئيسية تتمثّل في:

١) أنماط التضليل الإعلامي.

٢) علاقة هذا التضليل ببناء السرديات خلال الحرب.

٣) وأثره في الثقة بالمؤسّسات الإعلامية والرسمية.

ثانيًا:
أنماط التضليل الإعلامي في سياق الحرب

أظهرت مادّة الرصد أن التضليل البصري خلال الحرب لا يقتصر على إنتاج صور أو فيديوهات مزيّفة بالكامل، بل يشمل أيضًا توظيف محتويات حقيقية أو معدّلة بطرق مختلفة تؤدّي إلى تغيير معناها أو إلى تضليل الجمهور بشأن دلالاتها. ويمكن تصنيف أبرز حالات التلاعب المرصودة ضمن ثلاثة أنماط رئيسية.

١- إعادة تأطير المحتوى في سياق آخر

برز هذا النمط في عدد كبير من المواد التي جرى تداولها خلال الفترة المرصودة. وهو يقوم على استخدام محتوى بصري صحيح من ناحية المضمون، إلا أنّه يقدَّم ضمن سياق جغرافي أو سياسي أو عسكري مختلف عن سياقه الأصلي، بما يغيّر دلالته ويوجّه تفسيره في اتّجاه يخدم سردية معيّنة. فقد يكون المحتوى أصليًا، إلا أنه يُنسَب إلى مكان جغرافي آخر أو طرف مختلف أو حدث سياسي وعسكري مغاير، بما يؤدي إلى تغيير معناه وإعادة توجيه تفسيره. يُعدّ هذا النوع من التضليل من أكثر الأساليب انتشارًا، لأنه يستند إلى مواد حقيقية يصعب التشكيك في صحّتها التقنية، بينما يكمن التضليل في عملية إعادة التأطير التي تغيّر الدلالة الأصلية للمحتوى.

على سبيل المثال، انتشر على مواقع التواصل الاجتماعي مقطع فيديو زعم ناشروه أنه يوثّق أسر عناصر من حزب الله لجنود من الجيش الإسرائيلي في جنوب لبنان. ونشر حساب يُدعى «بركان المسيرة» المقطع بتاريخ ١٥ أيار ٢٠٢٦ على منصة «إكس»، حاصدًا أكثر من ٢١٢ ألف مشاهدة، نحو ١,٧ ألف إعادة نشر، وأكثر من ٧ آلاف إعجاب. وقد تبيّن أن هذا المقطع قد أُعيد تداوله خارج سياقه الأصلي في مناسبات سابقة، حيث نشره أيضًا حساب باسم «صالح منصر اليافعي» على منصة «إكس» بتاريخ ٣١ آذار ٢٠٢٦، محقّقًا أكثر من ٩٦٧ ألف مشاهدة، إضافة إلى نحو ٩٠٠ تعليق و١٢ ألف إعجاب.

أما الفيديو الأصلي فهو قديم ولا يمت بصلة إلى الحرب الإسرائيلية على لبنان، بل منشور في الأصل بتاريخ ٥ كانون الأول ٢٠٢٤ في شبكات إخبارية عدّة، ومرتبط بتقدّم فصائل المعارضة السورية المسلّحة في محافظة حماة، قبل أيام من دخولها العاصمة دمشق في ٨ كانون الأول من العام نفسه.

في مثال آخر، ومع تصاعد الحديث عن استخدام حزب الله للمسيّرات في عمليّاته ضد الجيش الإسرائيلي في جنوب لبنان، تداولت حسابات على مواقع التواصل الاجتماعي في ٢٨ نيسان ٢٠٢٦ مقطع فيديو زعمت أنه يوثّق لحظة استهداف جنود إسرائيليين في جنوب لبنان بواسطة مسيّرة تابعة لحزب الله. وادّعت المنشورات – منها مرفق بنصّ يتحدّث عن «صيد ثمين لحزب الله، المسيّرة دخلت إليهم من الشبّاك» (أكثر من ٥٣٠ ألف مشاهدة و١١ ألف إعجاب) – أنّ المسيّرة دخلت من نافذة أحد المنازل حيث كان الجنود يتمركزون، قبل أن تنفجر بهم وتؤدّي إلى تدمير المكان.

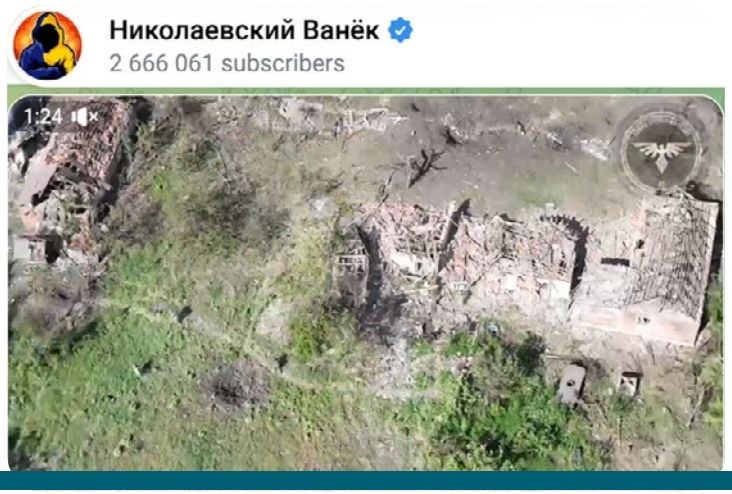

أما الفيديو الأصلي فقد جرى تداوله للمرّة الأولى في ١٣ أيار ٢٠٢٤ في سياق الحرب بين روسيا وأوكرانيا ونشرته مواقع إخبارية عدة على أنه يوثّق مسيّرة أوكرانية تستهدف مجموعة من الجنود الروس داخل منزل.

في منتصف أيار ٢٠٢٦ أيضًا، تداولت حسابات على مواقع التواصل الاجتماعي مقطع فيديو قالت إنه يوثّق لحظة سقوط صواريخ أطلقها حزب الله على مصنع للصواريخ في إسرائيل، ما أدّى إلى تدميره. ويُظهر الفيديو المتداول مشاهد لموقع تندلع فيه النيران بشكل كثيف، فيما يظهر عدد من الأشخاص وهم يركضون مبتعدين عن مكان الحريق. وقد أُرفق المقطع بعبارات تزعم أنّه يصوّر هجومًا حديثًا لحزب الله على مصنع صواريخ. أما الفيديو فهو قديم ومنشور في ٢٤ كانون الثاني ٢٠٢٥، وهو يوثّق حريقًا في مصفاة نفطية في منطقة ريازان الروسية إثر هجوم بطائرات مسيّرة أوكرانية.

Watch: Huge explosion after strike at Russian oil refinery

وفي ٩ أيار ٢٠٢٦، انتشر مقطع فيديو تداولته حسابات على مواقع التواصل الاجتماعي زعمت بأنه يوثّق لحظة تدمير دبابة إسرائيلية من طراز «ميركافا» خلال المواجهات الدائرة بين حزب الله والجيش الإسرائيلي في جنوب لبنان. في الواقع، فإن الفيديو منشور في ٨ تشرين الأول ٢٠٢٣ على حساب وزارة الدفاع الأوكرانية عبر منصة «إكس»، وهو يوثّق، بحسب المصدر الأصلي، استهداف دبابة روسية من طراز T-90M في محور ليمان شرقي أوكرانيا.

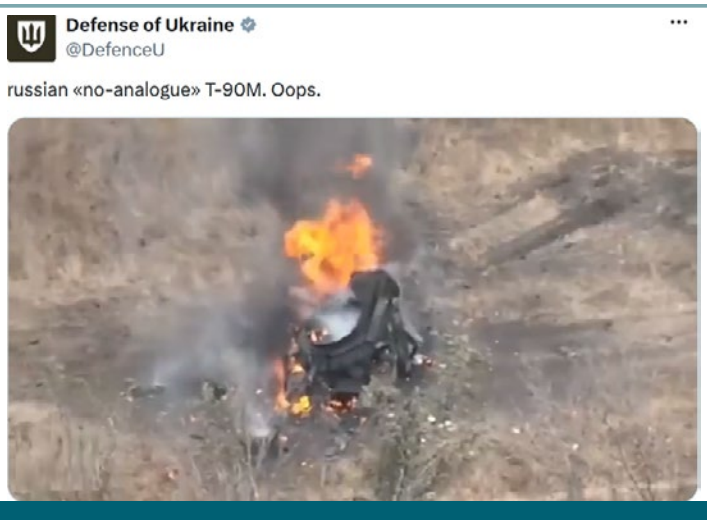

٢- الصور والفيديوهات المولّدة بالذكاء الاصطناعي

يظهر النمط الثاني من حالات التلاعب بالمحتوى البصري صورًا ومقاطع فيديو مولّدة بالذكاء الاصطناعي أو معدّلة به، تبدو شديدة الواقعية من دون أن يكون لها أي أساس في الواقع. وقد أظهرت مادّة الرصد حضور هذا النمط من المحتوى ضمن البيئة الإعلامية المصاحبة للحرب، سواء بهدف التأثير في الرأي العام، إثارة البلبلة، أو دعم سرديات معيّنة. يزداد التفنّن بهذا النوع من التضليل، وبالتالي خطورته، مع التطوّر المستمر في تقنيات التوليد البصري، إذ يصبح التمييز بين المحتوى الحقيقي والمصطنع أصعب بالنسبة إلى المستخدم العادي[1]، ما يضاعف أهمية أدوات التحقّق الرقمي والتدقيق في مصادر المواد المتداولة.

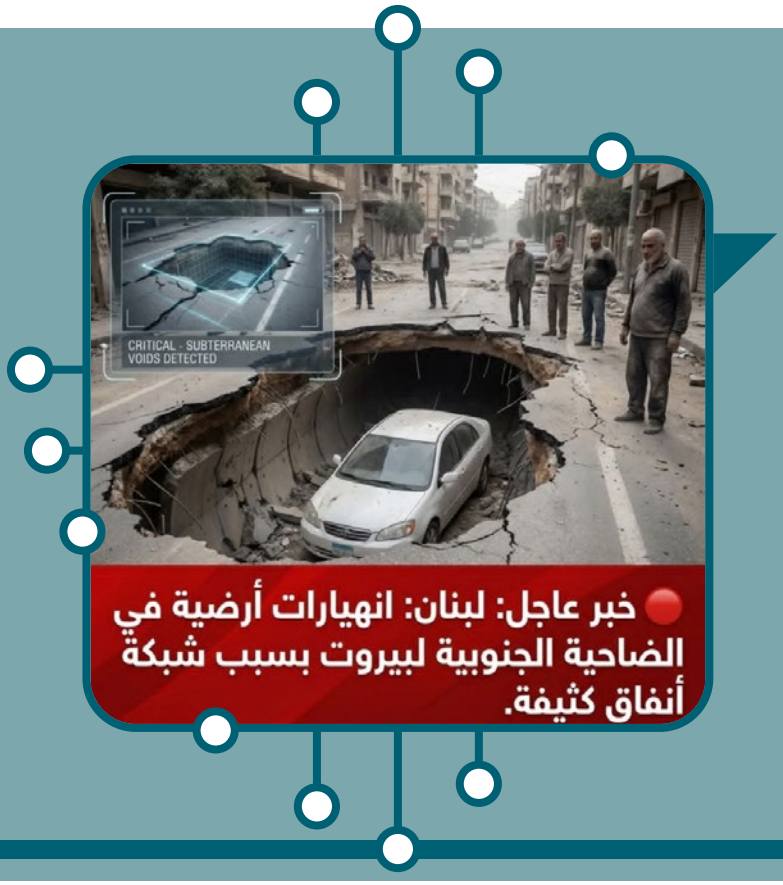

على سبيل المثال، تداول مستخدمون على مواقع التواصل الاجتماعي صورة مولّدة بالذكاء الاصطناعي نُشرت في ٢٣ نيسان ٢٠٢٦ وقيل إنها توثّق انهيارات أرضية في الضاحية الجنوبية بسبب وجود أنفاق تحت الأرض. وجاء تداول الصورة ضمن سياق ربط الأضرار التي شهدتها المنطقة بوجود بنى تحتية عسكرية مزعومة، فيما ادّعت بعض المنشورات أنّ بيانات تقنية مستخرجة من أجهزة مسح جيولوجي كشفت عن فراغات حرجة في المنطقة.

1- Vaccari, Cristian. & Chadwick, Andrew (2020). "Deepfakes and disinformation. Exploring the impact of synthetic political video on deception, uncertainty, and trust in news". *Social Media + Society,* 6(1), 1-13. https://doi.org/10.1177/2056305120903408.

٣- التلاعب بالإطار الزمني للمحتوى

يقوم هذا النمط على إعادة نشر صور أو مقاطع فيديو صحيحة، ولكن جرى تداولها في وقت سابق، مع الإيحاء بأنها توثّق أحداثًا جارية أو حديثة. بالتالي، يرتبط التضليل هنا بالعنصر الزمني، أي بالتوقيت الحقيقي للمحتوى. فبينما يركز النمط الأول على إعادة تأطير المعنى الجغرافي أو السياسي، يرتكز هذا النمط على التلاعب بالزمن. ويُعدّ هذا الأسلوب من أكثر أنماط التضليل شيوعًا خلال الحروب والأزمات لأنه يستند إلى مواد حقيقية يصعب التشكيك في صحتها التقنية، إلا أن التضليل يكمن في تقديمها كتوثيق لأحداث راهنة.

على سبيل المثال، تداولت حسابات على مواقع التواصل الاجتماعي في منتصف أيار ٢٠٢٦ صورة زعمت أنّها لجندي أميركي قُتل بمسيّرة لحزب الله في جنوب لبنان خلال قتاله إلى جانب الجيش الإسرائيلي. وجاء تداول الصورة في ظل تصاعد الأخبار المرتبطة بالعمليات العسكرية بين حزب الله والجيش الإسرائيلي في المناطق الجنوبية المحتلّة. تُظهر الصورة جنديًا مسلحًا ممدّدًا على أرض ترابية، وعلى بزّته ما يبدو أنه علم أميركي، فيما يظهر في أسفل الصورة ما يشبه شعار «الإعلام الحربي» التابع لحزب الله. وقد أرفق ناشرو الصورة تعليقات توحي بأن الجندي قُتل خلال عملية نفذها حزب الله بمسيّرة، من دون تقديم أي معلومات حول مصدر الصورة، هوية الجندي، أو مكان التقاط الصورة.

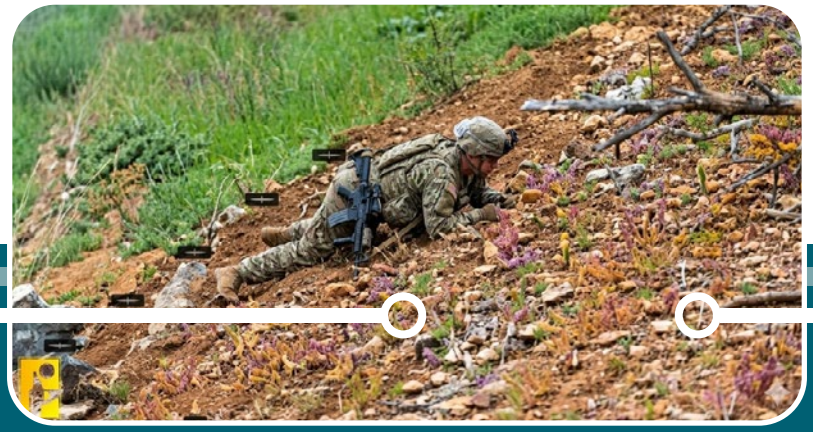

هذه الصورة المعدّلة بالذكاء الاصطناعي تحتوي على لقطات من فيديو نشره الإعلام الحربي في حزب الله، قال إنّه يوثّق عملية استهداف جنود من الجيش الإسرائيلي في محيط بلدة دير سريان جنوب لبنان بمحلّقة انقضاضية في ٩ أيار ٢٠٢٦.

لا تُعدّ هذه الأنماط الثلاثة متمايزة بصورة مطلقة، إذ قد يجمع المحتوى المضلّل الواحد بين أكثر من أسلوب، كأن يُعاد تدوير مادّة قديمة مع إعادة تأطيرها ضمن سياق جغرافي أو سياسي مختلف، أو أن تُضاف عناصر مولّدة بالذكاء الاصطناعي إلى صورة أو فيديو واقعيَيْن.

ثالثًا:
من التضليـل إلـى بنـاء السرديـات خـلال الحـرب

لا يقتصر أثر الأخبار المضلّلة على نشر معلومات غير صحيحة، بل يتجاوز ذلك إلى المساهمة في بناء سرديات متكاملة تسعى إلى توجيه إدراك الجمهور للأحداث والأطراف المتصارعة. فالسرديات لا تُبنى من خلال خبر واحد، وإنما عبر تراكم مضامين وصور ورسائل متشابهة تعيد إنتاج المعنى نفسه وتوجه تفسير الأحداث في اتجاه معيّن، مع الإشارة إلى أن المضامين المضلّلة لا تؤدّي بالضرورة إلى تبنّي السرديات المقصودة من قبل جميع المستخدمين.

من ناحية أخرى، تتداخل هذه السرديات في ما بينها ولا تظهر دائمًا بصورة منفصلة، إذ يمكن للمضمون المضلّل الواحد أن يساهم في بناء أكثر من سردية في الوقت نفسه. فالمحتوى الذي يُستخدَم لإظهار انتصار عسكري قد يؤدي أيضًا إلى تضخيم قدرات أحد الأطراف أو تعزيز مشاعر التفوق أو التهديد لدى الجمهور، أو حتى إلى استثمار قناعات مسبقة لتأكيد سرديّات معيّنة.

١- صناعة انتصارات عسـكرية

تُستخدَم بعض المضامين المضللة لإظهار تحقيق إنجازات وانتصارات عسكرية لم تقع في الواقع، أو للمبالغة في حجم نجاحات محدودة، بما يسهم في تكريس صورة التفوق الميداني لطرف من أطراف النزاع. تؤدّي هذه الممارسات إلى تعزيز السردية التي تربط ذلك الطرف بالقوة والقدرة على الحسم، بصرف النظر عن دقّة الوقائع التي تستند إليها.

لا تكمن أهمية هذه المضامين في صحة الوقائع التي تنقلها بقدر ما تكمن في مساهمتها في ترسيخ سردية التفوّق العسكري كما يظهر في المادّة رقم ١ المتناولة أعلاه. فقد أسهم هذا المثال في بناء سردية الانتصار من خلال الإيحاء بتحقيق تقدم ميداني أو نجاح عسكري لم يكن قد تحقق فعليًا. من ناحية أخرى، أظهرت التعليقات المرافقة للمقطع نفسه (التغريدة المنشورة في ٣١ آذار ٢٠٢٦) تفاعلات واسعة تظهر حالة الاستقطاب في تفسير المقطع.

فرغم أن البعض شكّك في صحته وأكد أنه مقتطع من سياقه الحقيقي، ركّز جزء من المستخدمين على تبنّي الرواية المنشورة والتفاعل معها عاطفيًا ودعائيًا، مع عبارات تأييد أو دعاء أو تمجيد. أما فيديو المادة رقم ٣ فنُشر في سياق تقارير إخبارية تحدثت عن اعتماد حزب الله المتزايد على مسيّرات انقضاضية موجّهة بالألياف الضوئية، ما يشكّل تطورًا نوعيًا في تكتيكاته [٢]، بسبب قدرة تلك المسيرات على تجاوز أنظمة التشويش والرصد. وبالتالي، تأتي تلك المادة لتضيف إلى معلومات وتحاليل متداولة معلومة غير دقيقة تصبح عنصرًا في بناء سردية التفوق العسكري. ورغم تشكيك البعض بصحته الفيديو وسياقه، أتت تعليقات مرافقة كثيرة لتتعامل معه على أنه يوثّق عملية حقيقية لحزب الله ضد جنود إسرائيليين، فأشادت بالاستهداف المزعوم واعتبره البعض دليلاً على فعالية المسيّرات في المواجهات الميدانية. أما المادّة رقم ٤ فترتبط بسياق المواجهات الجارية في جنوب لبنان. ولكن رغم تشكيك البعض بصحة الفيديو وسياقه، تعاملت تعليقات عدّة مع المقطع على أنه يوثّق فعلاً استهداف دبابة إسرائيلية، فقد أشادت بالعملية المزعومة واعتبرتها دليلاً على تصاعد المواجهة مع الاحتلال الإسرائيلي في جنوب لبنان.

٢- تضخيم قدرات طرف أو إظهار انهيار الطرف الآخر

لا يقتصر بناء السرديات على الادّعاء بتحقيق الانتصارات، بل يشمل أيضًا تضخيم الإمكانات العسكرية أو التقنية أو التنظيمية لطرف معيّن، مقابل تصوير الطرف المقابل بوصفه عاجزًا أو منهارًا أو فاقدًا للقدرة على المواجهة. ويؤدّي هذا النمط إلى إعادة تشكيل تصورات الجمهور بشأن موازين القوى الفعلية وإلى إنتاج صورة ذهنية قد لا تعكس الواقع الميداني.

ولا تقتصر دلالات الأمثلة السابقة على سردية واحدة، إذ يمكن للمحتوى المضلل ذاته أن يؤدي وظائف سردية متعددة في الوقت نفسه. لكنّ المادة رقم ٥ المتعلّقة بفيديو الهجوم المزعوم لحزب الله على مصنع للصواريخ في إسرائيل تعكس ما يظهر على أنه تضخيم بقدرة طرف، أي حزب الله، على إصابة موقع استراتيجي إسرائيلي بحيث يبدو الطرف الآخر عاجزًا عن الدفاع عن قلب ترسانته العسكرية. ورغم تشكيك البعض بصحة الفيديو، تعامل قسم من التعليقات مع المقطع على أنه يوثّق عملية حقيقية، معبّرةً عن تأييدها للاستهداف ومشيدةً بما اعتُبر ضربة عسكرية ضد منشأة إسرائيلية، وذلك مع استخدام عبارات احتفائية تبارك للعملية المزعومة وتشيد بتصاعد قدرات الحزب العسكرية.

٢- محمد الزعانين، «مشاهد تربك إسرائيل.. وحدة الإنقاذ العسكرية في مرمى مسيّرات حزب الله»، موقع الجزيرة، ٢٧ نيسان ٢٠٢٦.

٣- تعبئة الجمهور وإثارة الانفعال عبر المحتوى البصري

يشكّل المحتوى البصري أحد أكثر أدوات التأثير فعالية خلال الحروب، نظرًا إلى قدرته على استثارة المشاعر بصورة مباشرة. لذلك، قد تُستخدَم الصور والفيديوهات المضلّلة أو الخارجة عن سياقها لإثارة الغضب، الخوف، التعاطف، أو الحماس، بما يعزز التعبئة العاطفية للجمهور ويدفعه إلى تبنّي مواقف أو سرديات معيّنة من دون التحقّق من صحة المعلومات المتداولة. تكتسب هذه المضامين فاعليتها من قدرتها على استثارة مشاعر تتجاوز مضمون الخبر نفسه، كالغضب أو التعاطف أو الشعور بالظلم، بما يسهم في تعزيز التفاعل مع المحتوى وإعادة نشره على نطاق أوسع.

يرتبط عدد من الحالات التي تناولناها في الفقرات السابقة في بناء هذه السردية، إلا أن المادة رقم ٦ المتعلّقة بصورة تزعم أنّها تُظهر جنديًا أميركيًا قُتل بمسيّرة لحزب الله في جنوب لبنان تعكس الجانب التعبوي والمثير للانفعال عبر هذا المحتوى. فهو، إذ يأتي في سياق أعلن فيه الجيش الإسرائيلي مقتل أحد جنوده في جنوب لبنان، يهدف من خلال تضليل هوية الجندي المقتول إلى إدانة الدعم الأميركي لإسرائيل، خصوصًا أن عددًا من التعليقات تعامل مع الصورة على أنها حقيقية.

٤- خلق شعور بالتفوّق أو التهديد

قد تهدف بعض المضامين المضللة إلى ترسيخ شعور بالتفوق والسيطرة لدى جمهور معين، أو على العكس إلى تضخيم الإحساس بالخطر والتهديد الوجودي. ويسهم هذا النوع من الرسائل في تعزيز الاستقطاب وإعادة إنتاج تصورات تقوم على ثنائية «القوة مقابل الضعف» أو «النصر مقابل الهزيمة»، بما يخدم أهدافًا سياسية أو عسكرية أو دعائية.

يمكن رصد هذا النمط في بعض المضامين المرتبطة بصورة «أنفاق الضاحية»، حيث لا يقتصر أثر الادّعاء على تقديم معلومة مضلّلة، بل يمتد إلى ترسيخ تصوّرات ترتبط بالخطر أو بالتهديد الكامن المرتبط بوجود بنى عسكرية مخفية. كما تكشف بعض التعليقات المرافقة للمحتوى عن إعادة إنتاج صور ذهنية سلبية تجاه المنطقة وسكانها، بما يتجاوز النقاش حول صحة الادّعاء نفسه.

٥- استثمار القناعات المسبقة والانحياز التأكيدي لترسيخ السرديات

تعتمد فعالية كثير من الأخبار المضللة على توافقها مع القناعات المسبقة لدى الجمهور، إذ يميل الأفراد إلى تصديق المعلومات التي تؤكد مواقفهم السابقة وتجاهل أو رفض ما يتعارض معها. ومن خلال استثمار هذا الانحياز التأكيدي (Confirmation Bias)[٣]، تسهم المضامين المضلّلة في ترسيخ السرديات القائمة وتعزيزها، وذلك ضمن هدف استراتيجي يتخطّى نشر معلومات غير صحيحة فحسب.

تُظهر بعض الحالات أن أثر المحتوى المضلّل لا يرتبط بقدرته على إقناع جمهور جديد بقدر ما يرتبط بتعزيز القناعات الموجودة أصلاً. ففي حالة الصورة المتداولة حول «أنفاق الضاحية»، لم تنحصر التفاعلات في مناقشة صحة الصورة، بل أعادت إنتاج الانقسامات السياسية والمواقف المسبقة تجاه الأطراف المعنية بالصراع الدائر. فلم يكن الخطاب السلبي موجّهًا حصرًا ضد حزب الله أو جمهوره، كما قد يُتوقّع بالنظر إلى مضمون الادعاء المرتبط بالأنفاق، بل امتدّ أيضًا إلى أطراف سياسية أخرى، من بينها حزب القوات اللبنانية ومؤيدوه.

في المحصّلة، تبيّن الحالات السابقة أن أثر التضليل الإعلامي خلال الحروب لا يقتصر على نشر معلومات غير دقيقة، بل يمتدّ إلى المساهمة في بناء تصوّرات ومعانٍ وسرديات متنافسة تسعى الأطراف المختلفة إلى ترسيخها ضمن الفضاء الإعلامي والرقمي.

3- Nickerson, Raymond S. (1998). "Confirmation bias: A ubiquitous phenomenon in many guises". *Review of General Psychology,* 2(2), 175-220.

رابعًا:

التضليل الإعلامي وتحدّيات الثقة بالمؤسسات

لا يقتصر أثر التضليل الإعلامي خلال الحروب على تشويه الوقائع أو تحريفها أو دعم سرديات معيّنة، بل يمتد أيضًا إلى إعادة تشكيل علاقة الجمهور بمصادر المعلومات المختلفة. فالتعرّض المتكرّر لمحتويات مضلّلة أو متناقضة قد يؤدي إلى تعزيز الثقة ببعض الجهات أو إلى إضعافها، كما قد يخلق حالة من الشكّ العام تجعل التحقّق نفسه موضع نقاش وتشكيك.

١- تفاعل الجمهور مع المحتوى المضلّل: بين التصديق والتشكيك

تظهر ردود الفعل على المحتوى المضلّل أنماطًا مختلفة من السلوكيات. فهي لا تعكس انقسامًا بسيطًا بين من يصدّق ومن يكذّب، بل تكشف عن طيف واسع من المواقف يتداخل فيه التحقّق مع المواقف السياسية والقناعات المسبقة. فقد يشكّك بعض المستخدمين والمستخدمات في صحّة صورة أو فيديو، لكنهم يستمرّون في تبنّي الرواية الأساسية التي يدعمها المحتوى، على غرار عبارة «الصورة مفبركة لكن خبر الأنفاق صحيح». في المقابل، قد يرفض آخرون السردية برمّتها انطلاقًا من موقف سياسي أو أيديولوجي معاكس.

وتُظهر هذه الحالات أن التحقّق من المحتوى لا يؤدي بالضرورة إلى مراجعة الموقف من الرواية المتداولة، إذ قد يبقى تبنّي السردية أو رفضها مرتبطًا بعوامل تتجاوز مسألة صحّة المادة المنشورة بحدّ ذاتها.

٢- الثقة بالمصادر الإعلامية والرسمية

يساهم غياب المصادر الإعلامية الموثوقة أو عدم حضورها بالقدر الكافي في انتشار المحتوى المضلّل أو غير الموثّق. وفي سياقات الحرب، تزداد حاجة الجمهور إلى المعلومات السريعة والدقيقة، في حين قد يكون الاتصال المؤسساتي الرسمي محدودًا أو غير قادر على مواكبة التدفق المتسارع للأخبار، كما تصبح عملية التحقق من بعض الوقائع أكثر تعقيدًا بسبب الظروف الميدانية والأمنية. في مثل هذه الحالات، يتحوّل الفراغ في المعلومات إلى بيئة خصبة لتداول الشائعات والمحتويات المضلّلة.

لا يعني ذلك بالضرورة تراجع الثقة بالمؤسسات الإعلامية أو الرسمية، إلا أن بعض التفاعلات المرصودة تكشف عن استعداد لدى عدد من المستخدمين والمستخدمات لتداول معلومات غير موثقة أو الاعتماد على حسابات مجهولة المصدر، خصوصًا عندما لا تتوافر معلومات رسمية سريعة أو واضحة حول بعض الوقائع. وتُظهر هذه الحالات أن البحث عن المعلومات خلال الحروب لا يجري دائمًا وفق معايير الموثوقية المهنية وحدها، بل قد يتأثّر أيضًا بسرعة الوصول إلى المعلومة أو بمدى انسجامها مع توقعات الجمهور وقناعاته المسبقة.

٣- الثقة بمنصّات التواصل الاجتماعي

لا تنتج منصّات التواصل الاجتماعي المحتوى المضلل بالضرورة، لكنها توفر بيئة تسمح بانتشاره السريع وإعادة إنتاجه على نطاق واسع. فآليات المشاركة وإعادة النشر والتفاعل الفوري تجعل من الممكن انتقال المحتوى من حساب إلى آخر خلال وقت قصير، حتى قبل التحقّق من صحّته. كما تسهم الخوارزميات التي تنظّم عرض المحتوى وتوصية المستخدمين والمستخدمات به في زيادة فرص وصول بعض المضامين إلى جمهور أوسع، خصوصًا عندما تحظى بمستويات مرتفعة من المشاهدة والتفاعل والمشاركة. بالتالي، تضع المنصّات المحتويات المهنية وغير المهنية في الفضاء نفسه، بحيث يصبح من الصعب أحيانًا على المستخدم العادي التمييز بين المحتوى الصحافي المهني والمحتوى المضلّل، غير الموثّق أو الموجه دعائيًا.

٤- الثقة بعمليات التحقق نفسها

لا تقتصر التحديات التي يفرضها الذكاء الاصطناعي على زيادة صعوبة التمييز بين الحقيقي والمفبرك، بل تمتدّ أيضًا إلى إعادة تعريف معنى التحقّق نفسه. فمع تزايد القدرة على إنتاج صور ومقاطع فيديو واقعية المظهر، قد يصبح إثبات زيف المحتوى أكثر تعقيدًا كما ذكرنا.

من جهة أخرى، لا يؤدي كشف التلاعب دائمًا إلى إنهاء تأثير المحتوى المضلّل. ففي بعض الحالات، يستمرّ تداول السردية المرتبطة بالمحتوى حتى بعد إثبات عدم صحته، ما يشير إلى أن فعالية التضليل لا ترتبط بمصداقية المادّة المنشورة فقط، بل أيضًا بقدرتها على الانسجام مع قناعات مسبقة أو مع سرديّات قائمة أصلاً. فكما أشرنا في السابق، بعض المستخدمين بدوا مقتنعين في حالة «أنفاق الضاحية» بأن الصورة مولّدة بالذكاء الاصطناعي، لكنّهم استمروا في تبنّي الفرضية الأساسية التي تروّج لها.

في المحصّلة، تُظهر هذه الملاحظات أن تحدّيات التضليل خلال الحروب لا تقتصر على إنتاج محتويات غير صحيحة، بل تشمل أيضًا تعقيد العلاقة بين الجمهور ومصادر المعلومات المختلفة، وبين الحقيقة وعمليات التحقق منها، في بيئة إعلامية تتسّم بالسرعة والاستقطاب والتطوّر التقني المتسارع.

الخـاتمة

لا تسمح عيّنة الرصد التي استند إليها هذا التقرير باستخلاص استنتاجات عامّة حول مجمل الخطاب المتداول خلال الحرب، إلا أنها تتيح رصد عدد من الآليات والاتجاهات المتكررة في المضامين المضللة التي جرى تداولها خلال الفترة المدروسة. وتُظهر الحالات التي تناولها التقرير أن التضليل الإعلامي خلال الحروب لا يقتصر على نشر معلومات غير دقيقة أو مفبركة، بل يشمل مجموعة متنوّعة من الممارسات التي تتراوح بين إعادة تأطير المحتوى، التلاعب بالإطار الزمني للمواد المتداولة، والاستفادة من أدوات الذكاء الاصطناعي لإنتاج مضامين تبدو واقعية. وتزداد فعالية هذه الممارسات في سياقات النزاع، حيث يرتفع الطلب على الأخبار الفورية وتتراجع إمكانات التحقّق السريع. كما تكشف الأمثلة المرصودة أن أهمية هذه المضامين لا تكمن فقط في مضمونها المباشر، بل أيضًا في قدرتها على المساهمة في بناء سرديات متنافسة حول الحرب وأطرافها.

فالمحتوى المضلّل قد يُستخدَم لإظهار انتصارات عسكرية، تضخيم قدرات طرف معيّن، تعبئة الجمهور وإثارة الانفعال، أو ترسيخ تصورات مرتبطة بالتفوّق أو بالتهديد. وفي كثير من الحالات، لا تعمل هذه السرديات بصورة منفصلة، بل تتداخل وتتقاطع ضمن عملية أوسع لتوجيه إدراك الأحداث وتفسيرها. في المقابل، تُظهر التفاعلات المرافقة لبعض هذه المضامين أن تأثيرها لا يرتبط فقط بمدى صحة المعلومات المتداولة، بل أيضًا بطريقة تلقيها وتأويلها من قبل الجمهور. فقد كشفت بعض الحالات عن استمرار تبنّي روايات معيّنة رغم التشكيك بالمحتوى أو إثبات عدم صحّته، ما يعكس دور القناعات المسبقة والانحيازات القائمة في إعادة إنتاج السرديات وتداولها.

تشير هذه الملاحظات إلى أن مواجهة التضليل الإعلامي خلال الحروب لا تقتصر على التحقق من الوقائع وكشف المعلومات الخاطئة، على أهمية ذلك، بل تتطلّب أيضًا فهمًا أوسع للبيئة الاتصالية التي تسمح بانتشار هذه المضامين، للسرديّات التي تستند إليها أو تسعى إلى ترسيخها، كما للتحدّيات المتزايدة التي تفرضها المنصّات الرقمية وتقنيات الذكاء الاصطناعي على عمليات التحقّق وبناء الثقة بالمعلومات.

Sodeco, Petro Trad St.,
Sodeco 7 Bldg., 5th Fl.,
Beirut, Lebanon
+961 1 333713/4
info@lade.org.lb
lade.org.lb